

رواية

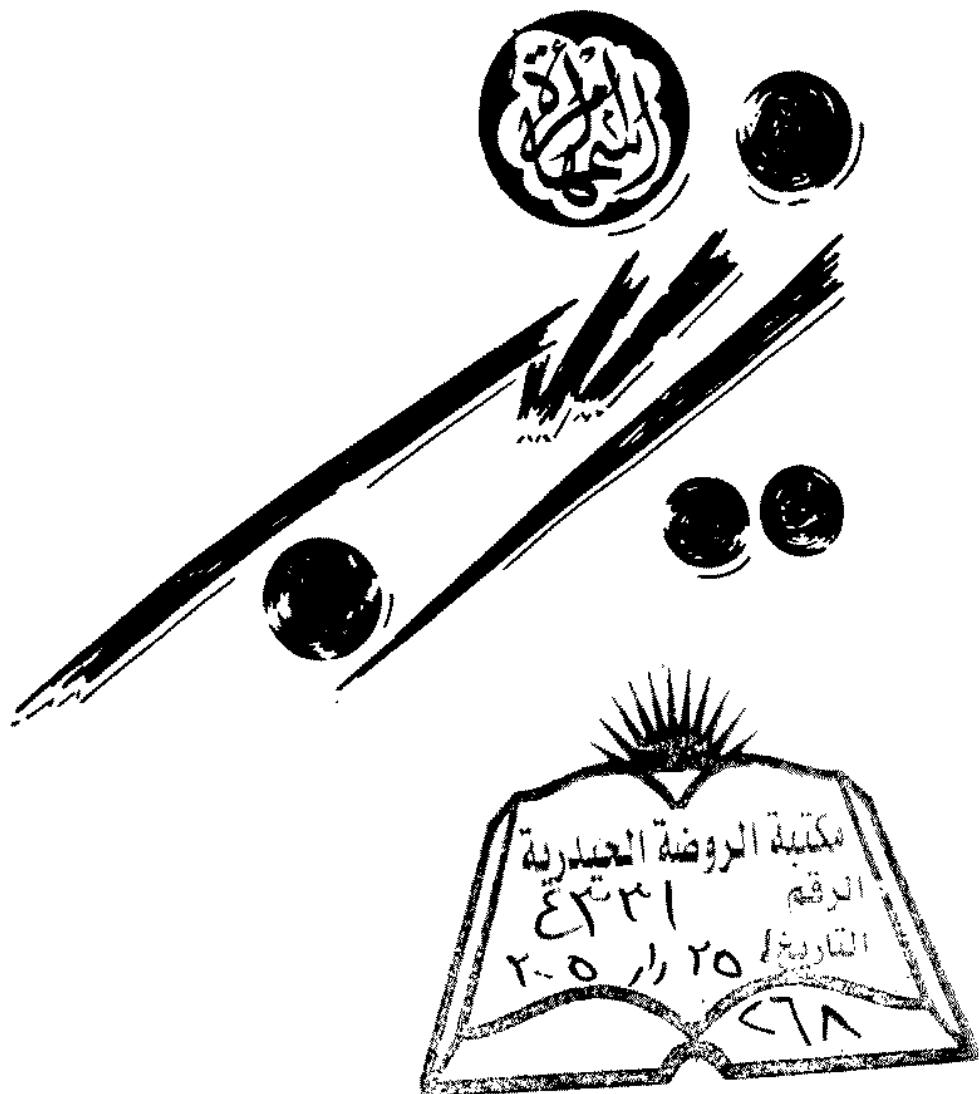
حَالُ السَّيِّد



[www.haydarya.com](http://www.haydarya.com)



# كالسيد



رواية

۰۴/۲  
۱۵۴  
س۹

سید، کمال، ۱۳۳۶ -

امرأة اسمها زینب/کمال السید. - قم: انصاریان، ۱۳۸۲ = ۲۰۰۳ . ۷۹ ص.

فهرستنويسي بر اساس اطلاعات فيبا.

ISBN: 964-438-105-X

۱. زینب بنت علی(س) ، ۶۲ق. -- سرگذشتname. الف. عنوان.

ب. عنوان: زینب.

۲۹۷/۹۷۴

الف. س ۲/۲ BP۵۲

۷۴/۵۸۲۶

کتابخانه ملی ایران

# امرأة اسمها زینب

المؤلف: کمال السید

الناشر: مؤسسة انصاریان للطباعة والنشر - قم

الطبعة الثانية: ۱۳۷۹ - ۱۴۲۱ - ۲۰۰۰

الطبعة الثالثة: ۱۳۸۲ - ۱۴۲۴ - ۲۰۰۳

المطبعة: صدر - قم

الكمية: ۲۰۰ نسخة

عدد الصفحات: ۸۰ ص.

حجم الغلاف: متوسط

ردمك: X-۱۰۵-۴۳۸-۱۰۵-۹۶۴

جميع حقوق الطبع محفوظة ومسجلة للناشر



مؤسسة انصاریان للطباعة والنشر

جمهوریه ایران الإسلامية

قم - شارع الشهداء - فرع

ص.ب ۱۸۷

فاکس: ۷۷۴۲۶۴۷ هاتف: ۷۷۴۱۷۴۴ (۲۰۱) (۹۸)

البرید الالکترونی: ansarian@noornet.net

www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولئن جرّت على الدواهي يا يزيد مخاطبتك

إني لأشتصغر قدرك

زينب

## الإهداء إلى روح الله

في زمن يلقيه الضباب والدخان.. في زمن الشيطان.. في زمن رسم الرعب ملامحه في المدن الخائفة.. العالم مستسلم بين أنياب تنزّ صديداً.. في هذا الزمن اليائس، تمخضت الأرض فأنجبت «روح الله».

وجه يحمل شارات الانبياء.. وامتدادات السماء: سيفاً.. قرآنًا.. صهيلاً مخزوناً من أرض كربلاء.. من لحظة عاشوراء..  
وشرق شمس جديدة تغمر الدنيا بالدفء والنور والأمل.. وترفع التوقي في الصحاري رؤوسها.

هناك في الأفق البعيد، قافلة قادمة يقودها وارث الحسين.  
السلام عليك يا روح الله، وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك..  
سرعان ما رحلت عننا، بقلبك المطئن المفعم بالسلام.. بروحك الظاهرة..  
بأملك الكبير في حياةٍ أبديةٍ لأنكَد فيها ولا عناء..  
كيف نختئ دموعنا في ذِبْك اللاحِب. سُحرق كلَّ أشرعتنا، ونغرق في شواطئك..

ايه المسكون بها جس الرحيل.. المبهور بالسفر.. ايها القادر علينا من  
اعماق التاريخ والانسان.. ايها المضمخ بعيير النبوات.. يا بشاره هذا العصر.  
عندما اشرقت على الدنيا بدأ عصر الزوابع.. الغيوم المخزونة بالرعود  
تشهد فتشتعل البروق، وتسيل أودية بقدر.

السلام عليك يا روح الله .. ايها القادر من رحم كربلاء؛ جواداً ينبعث من  
اعماق رمال الصحراء.. صوتاً فيه انقام الزبور.. تراتيل التوراة.. بشاره  
الانجيل.. وآيات القرآن العظيم.

السلام عليك يا روح الله ..

ايه الروح الذي حطم اصنام الطغاة.. ايها القلب الذي اصبح نبعاً للحياة،  
وطريقاً للنجاة.

مذ رأيناك رأينا آية الله .. معجزات الانبياء. في قبضتك عصا موسى  
تنسف سحر الشياطين.. فأنت ابراهيم تهشم وجوه الآلهة المزيفة. في عينيك  
بريق الحسين.. والجراح التي هزمت سيف القبائل.

ما يزال حضورك قوياً رغم غيابك.. أيها الشاهد الغائب، والغائب الشاهد..  
قبرك يرفض صمت المقابر.. وصمتك العجيب يتحدث بلغة مدهشة ابلغ من كل  
ابجديات الدنيا.

أنا لا اصدق خرافه موتك.. فالذين التحقوا بقافلة الحسين لن يموتوا.. لقد  
حطموا جدران الزمن الصدائه.. اكتشفوا سر الخلود.

باقه ورد اقدمها بين يديك يا سيد، وسلام عليك في العالمين.

## كمال السيد

جمحت الفرس... رمحت... ارتفع صهيلاً عالياً يلاً الآفاق... لقد  
عانق الفارس الذي دوخ القبائل... عانق الأرض... توسد رمال  
الصحراء... أفناء الظماء... وأعياد نزف الدم، والفرات يجري متلوياً  
تتدافع أمواجه كأنه بطون الحيات.

جالت الفرس.. حمحمت وهي تقترب منه. راحت تمرغ ناصيتها  
بالدماء الثائرة.. تلوّن ذرّات الرمل الملتهبة بلون الشفق الحزين.

هتف رجلٌ من القبائل... رجل أسكرته نشوة القتل:  
- دونكم الفرس. إنها من جياد خييل النبي.

مثل دوّامة ما لها من قرار، دارت الخيل حولها الفرس تقاتل  
بضراوة.. تدفع عنها غائلة القبائل، كما لو أن روح السبط قد سكنت

أعماقها.

أما هو فقد توقف ليستريح فوق رمال كربلاء.  
ما لها القبائل تشتعل حقداً.. تضطرم غيظاً.. تنفجر في أعماقها شهوة  
الثأر.

ثارت الرمال تحت حوافر الخيل، وعجزت الذئاب من كبح جماح  
فرس ثائرة كان صاحبها قد التوى به السرج، فانسرفت روحه  
الدافئة تلتقط أنفاسها من بين ذرات الأرض...

صرخ الرجل الذي يحلم بكنوز الري وجرجان:  
ـ دعوها لتنظر ما تصنع.

انحسرت عنها الخيل.. نظرت الى الافق البعيد، ثم لوّت رأسها  
باتجاه آخر الاسبات.

ما يزال غافياً فوق الرمال ينوء بنفسه.. قلبه ينزف دماً، ودماء  
القلب ترسم طريقها فوق الأرض نهرًا صغيراً يكاد سنا نوره يضيء  
التاريخ.

خفت زعيق القبائل... وتقدّمت الفرس نحو سبط النبي.. شمته..  
ملأت رئتها من عبر النبوّات.. أطلقت صهيلًاً مدوّيًّا وهي تركل  
الأرض.. تريدها أن تستيقظ.. أن تهتزّ، وتتزلزل تحت أقدام الذين  
اغتالوا الحرية وطعنوا السلام.

انطلقت الفرس نحو خيام قافلة عصفت بها الربيع من كل مكان.  
كانت ما تزال تصهل عالياً.. ما تزال كلماتها تتردد في سماء التاريخ.  
- الظليمة الظليمة من أمّة قتلت ابن بنت نبيّها.

لقد انتهى كل شيء، ومررت العاصفة الهوجاء.. ملأت الرمال دماء  
ودموعا.. والفرات ما يزال يجري.. تتدافع أمواجه نحو البحر البعيد.  
يمضي الفرس وجهها شطر الفرات المسافر في مجاهيل الصحراء..  
اقتحمت أمواجه المتدافعه، وغمرتها الأمواج، وكان الحصى المتناثر  
فوق الشواطئ يصغي لأنين خافت يشبه حمامة فرس حزينة.  
وتألقت في أعماق النهر ماذن وقباب وقوافل مسافرة.

هناك في القيعان الخفية تسقط النجوم، ويغفو القمر بسلام، ويترتج  
الصهيل الكربلاي مع المياه المتدافعه صوب البحر.  
وتغفو الفرس في أحضان الطين المعطور بعد يوم عصيب.  
وفي المساء، عندما بدا نخيل الشواطئ كأهداب حورية شهيدة، فقد  
الفرات مذاقه العذب، فاذا هو أجاج يلفظه الظمان كما لو كان مترعاً  
بملح الصحراء.

وعندما مررت الغيوم، شاهد بعضهم غيمةً بيضاء تشبه فرساً مجتاحة  
تشقّ طريقها في الفضاء الأزرق.. ترسم للأجيال طريق الحرية.



تراقصت ألسنة النار المجنونة وهي تلتهم خيام القافلة...  
 بدت كشيطانٍ يتميّز من الغيظ.  
 فرّت النساء والأطفال هائين في وجه الصحراء، وقطعان الذئاب  
 تجوس خلال الخيام كريحٍ مجنونة.  
 هبّت القبائل تسلب وتنهب، وتحولت تلك القطعة من أرض الله  
 إلى مسرحٍ رهيبٍ، وقد ظهر أبليس ينفخ ويصفر.. يسخر من آدم..  
 وبذا آدم حزيناً على فردوسه المفقود.  
 وكانت امرأة اسمها زينب تتالق وسط الناس... ترتل نداء النساء:  
 يا نار كوني برباداً وسلاماً.  
 تقدمت نحو الشمس التي كورّت.. كانت تتنفس روحَ علي..

ترتدى حلّة أیوب النبي.

تقدمت نحو آخر القرابين السماوية.

اختفت الزهور والرياحين، وظهرت الاشواك حادةً كأنصال  
السفاكين.. ملأت الطريق.. الطريق الذي يؤدي الى الحسين.

قالت زينب وهي تجثو أمام جسد ممزق:

-اهي تقبل منا هذا القربان!

نهضت تلملم آلامها.. تبحث عن أطفال ونسوة فرّت مذعورة  
كتيور هاربة من سفن بعيدة غرقت.

العيون الحالمة والقلوب الصغيرة فرّت خائفة. وكان «الرضيع»  
ما يزال غافياً مصبوغ النحر بلون الأرجوان.

عواء الذئاب يمزق وداعة الرياحين. واستحالت الاشياء الخضراء  
إلى رماد تذروه الرياح.

كل شيء بات يهتز بشدة.. الموجودات تتأرجح كما لو أن زلزالاً  
ضرب الأرض، فبدت مجونة، وهي تختر غبار الكون.

آن للقافلة أن تستأنف رحلتها، وقد ظهرت امرأة ترتدى صبر  
الانبياء.. عنوان الرسالات.. وكان اسمها زينب...

آن للقافلة أن ترحل.

رفعت النوق أثقالها... وانتشرت سفن الصحراء مراسيها...

وبوصلة التاريخ تشير الى المدينة المشهورة بالغدر.

ومن بعيدٍ لاحت الكوفة ذليلةً خاويةً على عروشها.

قالت زينب وهي تستقي صبر الحسين:

- لن يموت من رأسه فوق الرمح... انظر انه يرتل سورة الكهف.

قال فتي عليل أفلت من أنیاب الذئاب:

- انهم يقتلون الحرية.. والانسان.

- الروح العظيمة لا تعرف الموت.. انهم يرعنونها عالياً فوق ذرى  
الرماح.

وأردفت المرأة المتوضحة بالصبر:

- انظر يا بن أخي ستدخل الكوفة.

- يا عمتي اتنا ندخلها اسرى.

- بل فاتحين.. وسينجلي ذلك ولو بعد حين.

- وهذه الحال وقيود الحديد.

- ستلتقي حول أعناق الذين غدروا. انهم لا ايمان لهم. صبراً يا بقية  
جدي وأبي واخوتي، فوالله ان هذا العهد من الله الى جدك وأبيك،  
ولقد أخذ الله ميثاق أناسٍ لا تعرفهم فراعنة هذه الارض، وهم  
معروفون في أهل السماوات.. انهم يجمعون هذه الجسوم المضرجة  
فيوارونها، وينصبون بذلك الطف على لا يدرس أثره.



عصف الأرق بأم سلمة... غادر النوم عينها الساهرتين... تراقب  
النجوم وهي تومض من بعيد.

مذ غادر الحسين المجاز والرؤيا لا تفارقها  
مذ رحل السبط الى ارض السواد، وهي ترى النبي حزيناً مكتبراً.  
وعندما تنحسر الرؤيا، تتذكر حزن الحبيب يوم فقد ابنه ابراهيم.  
عانقه ثم قال - وعيناه تدمعن: أنا بك لحزونون.  
ولكن حزنه الآن حزن عميق.. كبير سحقيقة.  
لم تشاهده بهذه الحال أبداً.

رأت شعره المتموج تمواج الصحراء. رأته أشعث، ورأت وجهه  
القطني المشرب بحمرة الشفق مغبراً، وعلى رأسه التراب.

هدّ أم المؤمنين القلقُ. كانت تدرك في قراره نفسها أن شيئاً رهيباً قد وقع، فالحسين في أرضٍ طالماً غدرتُ بأبنائهما.

أغمضت عينيها الواهنتين، فرأت الحبيب مرّة أخرى. أفزعها منظره.. كان ينكت التراب عن رأسه، وبدا شعره أشعث مغبراً:

- مالي أراك أشعث مغبراً يا رسول الله.

أجاب آخر الأنبياء، وعيناه تدمعن:

- قُتل ولدي الحسين، وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه.

انتهيت أم سلمه من الحُلم.. وجدت نفسها تبكي بصوت يشبه نشيج الميازيب في مواسم المطر.

البكاء يشق طريقه في الليل.. يتسلل من خلال الظلام الذي يغمر المدينة قبل الساعة التي ينفلق فيها الفجر.

النجوم ما تزال تومض كقلوبٍ واهنةٍ اجهدها النبض.

أسرعت أم سلمة إلى قارورة فيها قبضة من ترابٍ كان جبريل قد أحضرها من شيطان الفرات.

كانت القارورة تفور دماً عبيطاً.. كجروح بعيد الغور.. بركان من دم ثائر.

- وأشكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة... اليوم مات رسول الله... فاطمة الزهراء.

غبرة كثيبة لفت المدينة التي فقدت مجدها...

ها هو أبو سفيان يقود جيوش الشرك مرّة أخرى، وقد عاد ليثار  
من بدر.. يثار لأبي جهل، وأمية، والوليد، وهبل، واللات والعزى.  
- أين أنت يا رسول الله؟ هلم إلى سبطك تتخطّفه سيف القبائل..  
هلم لترى ما يفعل طلقاوك.. لقد سرقوا منبرك.. ينزوون عليه قردة  
وخنازير.

وها هم اليوم يمزّقون قلبك.. يمزّقون صدر الحسين!  
انهم يطعنون المزن في السماء. فيا أرض اعطشى.. يطفئون وهجة  
الضياء. فيا شمس ارحل.. يسحقون الورد والريحان. فيا أرض  
اهmedi.

وحين غاب الحسين حلّ زمن القهر، وبدت خيول العرب ذليلة..  
ذليلة كصايا السبي.

ومضت أمّ سلمة تحت الخطى إلى رسول الله.. تعزّيه في ريحانته..  
أما الزهراء فما يزال مثواها مجهولاً يرسم علامه سؤال كبير يستفهم  
التاريخ.

استيقظت المدينة خائفة تترقب.. أطلّت عيون زائفة..  
الأفاعي التي فرّت من مكة ظهرت رؤوسها في دمشق... فحبحها  
يلاً الفضاء.. يكاد يختنق كلمات السماء.

وانبعث ابو جهل يكرع كؤوس الخمر، ويعربد.  
وفرّ بلال وعمار وسلمان.. كانوا يبحثون عن رسول الله، فلقد حمى  
الوطيس.. وطيس المعركة.

الغروب الحزين يفرض منازل المدينة المشهورة بالغدر، توهجت  
 ذرى التخيل بحمرة تشبه الجمر، فبدت كجراح متألقة.  
 دخلت القافلة التي جاءت على قدر العاصمة الدارسة.  
 كومس عجوز بدت الكوفة ذلك الغروب.  
 احتشدت جموع مذهولة حول القافلة العجيبة.  
 سالت امرأة كوفية ربيما لتسئ الجراح:  
 - من أيّ الأسرى أنت؟  
 وجاء الجواب الصاعقة:  
 - نحن أسرى آل محمد.  
 وأومات بنت محمد إلى الناس، فسكتت الأصوات، وبلغت القلوب

الخناجر.

وبدت وهي فوق ناقتها ملاكاً قادماً من السماء.  
سكت الناس، وتوقف التاريخ يصغي إلى كلمات عليٰ تتبعث من

جديده:

- اما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر. أتبكون فلا رقات  
الدمعة، ولا هدأت الرنة. انا مثلكم كمثل التي تقضي غزها من بعد  
قوة أنكاثا، تُخذلون أيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم الا الصلف  
النطف والعجب والكذب والشنف، وملق الاماء، وغمز الاعداء.  
كم رعى على دمنة أو كقصة على ملحودة. ألا بئس ما قدّمت لكم  
انفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

كلمات تشبه الصواعق. وبدت الجموع كشواهد قبور دارسة  
تحترق.

كان الصمت ما يزال جائماً فوق المكان كغراب اسطوري، وكانت  
الكلمات وحدها تدوّي في أذن التاريخ:

- أتبكون وتنتحبون، اي والله فابكونوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد  
ذهبتم بعارها وشنارها... فتعساً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي،  
وتبت اليدي وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله،  
وضربت عليكم الذلة والمسكنة... ويكلم يا أهل الكوفة! أتدرون أي

كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كرية له أبرزتم؟ وأي حرمة له انتهكتم،  
وأي دم له سفكتم؟! لقد جئتم شيئاً إداً.. تقاد السموات يتفترن منه  
وتنشق الأرض، وتخرب الجبال هداً... لقد أتيتكم بها خرقاء شوهاء  
كطلاع الأرض وملء السماء. أفعجتكم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب  
الآخرة أخزى، وأن ربكم بالمرصاد.

كانت الكلمات تتدفق قوية كإعصار فيه نار، وكان صهيلاً غاضب  
يتردّد من بعيد.. قادماً من أرض كربلاء....

ما يزال الحسين يقاتل. فالحسين لا يعرف الموت. لقد كشف سرّ  
الخلود، ومزق بسيفه حجب الزمن.وها هي زينب تشير بيدها نحو  
الدرب.. الـدرب الذي خطّه الحسين.

تساءل صوتٌ مدهوش:

- ولكن الحسين ما يزال في الرمضاء.. جسداً بلا رأس !!  
- مجرد إغفاءة.. وسينهض الفارس الذي دوخ القبائل.. سيلمع  
سيفه كبروق السماء، وسينبت جواده من مياه الفرات، وعندها  
ستشتعل المعركة من جديد....

كرباء معركة متجددّة في كل أرض مظلومة وفي كل زمان جائز.  
وستغدو كلّ بقعة من دنيا الله كربلاء، وسيمتدّ يوم عاشوراء ليشمل  
كل الزمن. سيصبح اطول يوم في التاريخ، بل سيستوعب التاريخ كله.

-ها هي زينب.. ها هي بنت علي.

هتف حرس القصر، وهم يتطلعون الى قافلة قادمة.. قافلة  
تحوطها ذئاب غراء.

ها هي زينب تتقدم بخطئ واثقة.. تدخل القصر.. ينبع في  
صدرها قلب علي، ويتألق في عينيها بريق الحسين.

وتنتفتح الأبواب أمام موكب من الأسرى.. تطفح فوق وجوههم  
العزّة والإباء. العيون النفاذة تخترق أستار الزمن، تنظر الى ماوراء  
الأيام....

لقد سقط يزيد وابن زياد.. تحطم عروشهم، وتهاوت قصورهم.  
إنهم لم يعودوا سوى جثث متعرّفة غادرتها الروح.  
أناخت القافلة رحلها في قصر يكاد يهد بأهله.. قصر تحرسه  
رماح ونبال.

جلس الأرقط مترعاً على عرشه. عيناه تقدحان شرراً، وما تزال سكرة الليل ترسم آثارها فوق وجهه... وفي عينيه لاحت كؤوس من خمرة ودماء.

كان يتصفّح وجوه «أسراء». توقف عند أحدهم. تسمّرت عيناه وارتدى بصره خاسناً وهو حسير، فهو لا يلوح عليهم سمات الأشر أو القهر.

نظارات متهدّية تصفّعه من كل صوب. وكانت ذلة الأشر تلوح فوق حرّاسه وجلاوته.

سأل الأرقط وقد غاظته هيئة «الأسري»:

- من هذه المتنكرة؟!

كان الصمت المشوب بالاحتقار صفة أطارت بقایا نشوءٍ تطوف  
في رأسه.

لم تجب المتنكرة.

حاول أحد الجلاوزة إنقاذ هيبة سيده، فتمت:

- إنها زينب... زينب ابنة علي.

لعت في عينيه شهوة الانتقام:

- الحمد لله الذي فضحكم وقتلتم وأذبّ أحدو شتكم.

وانتفضت المرأة الزوبعة:

- الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه «محمد» وطهّرنا من الرجس تطهيرا.  
وانما يُفتخض الفاسق ويُكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال الأرقط متهدياً في شماتة ونفاق:

- كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

أجابت بنت محمد وهي تنظر إلى ما وراء المحوادث:

- ما رأيت إلا جيلاً. هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى  
مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن  
الفلج يومئذ. ثكلتك أمك يابن مرجانه.

لم تنته المعركة بعد. هناك جولات أخرى.. جولات مريمة عنيفة.

كاد يتميّز غيظاً، وبدا كأفعى رقطاء تهمُّ بابتلاع ضحيتها.  
زاغت عيناه تطايير منها شر ركشر الجحيم المستعرة، وثار بركان  
حقدٍ في أعماقه، فنظر إلى أحد جلاوزته.  
كان رأس الحسين صامتاً، وكان صمته المحير يتكلّم بلغة عميقة أو  
صرخة مدوّية تكاد تعصف بالقصر وساكنيه.

كفحيح حيّة جاء صوت الأرقط:

لقد اشتفيت من الحسين والعصاة المرددة من أهل بيتكِ.  
تساءلت المرأة المقهورة: كيف أمكن لخنزير أن يسرق منابر  
الصادقين، تتمت بحرقة:

- لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعبي واجتثت أصلي، فإن  
يشفلك هذا فقد اشتفيت.

أدارت الأفعى رأسها نحو فتي عليل.. فتي ادخره القدر لزمن آخر.  
سؤال الارقط: ما اسمك؟

اجاب الفتى باعتزاز: عليّ بن الحسين.

- أو لم يقتل الله علياً؟!

- كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً، قتله الناس.  
- بل قتله الله.

ردَّ الفتى؛ والحكمة تتفجر من جوانبه:

- الله يتوفى الأنس حين موتها، وما كان لنفس لموت الا بأذن الله.  
زاغت عيناً الأرقط غيظاً. أشار إلى أحد جلاديه  
- اضرب عنقه!

هبت عمه معرضة:  
- حشبك يابن زياد من دمائنا ما سفكـتـ، وهـلـ أبـقـيـتـ أحـدـاـ غيرـ  
هـذاـ، فـإـنـ أـرـدـتـ قـتـلـهـ فـاقـتـلـنيـ معـهـ.  
زاد الفتى من تحديـهـ. إنه لا يـرـىـ سـوـىـ خـرـائـبـ قـصـرـ ولا يـرـىـ  
سوـىـ جـثـثـ مـتـعـفـنةـ:

- اـمـاـ عـلـمـتـ أـنـ القـتـلـ لـنـاـ عـادـةـ، وـكـرـامـتـاـ مـنـ اللـهـ الشـهـادـةـ؟ـ!  
الـشـهـادـةـ لـيـسـ مـوـتاـًـ بـلـ خـلـودـاـ...ـ الـمـوـتـ اـنـ يـتـعـفـنـ الـإـنـسـانـ.  
وـالـذـيـ يـعـبرـ جـدارـ الزـمـنـ وـأـوـدـاجـهـ تـشـخـبـ دـمـاـلـيـسـ مـيـتاـ.  
لا يـوـتـ مـنـ يـصـبـغـ الـأـرـضـ بـلـونـ الشـفـقـ الدـامـيـ.

بـدا قصر الإـمارة وـسط الـظلمـة كـغـرـاب يـبـحـث فـي الـأـرـض .. يـرـيد  
 نـيـش قـبـر قـدـيم عـفـي عـلـيـه الزـمـن ..  
 وـصـفت رـهـيب يـسـيـطـر عـلـى زـواـيا القـصـر مـا خـلـا صـوت بـوـمة  
 تـرـسل هـأـهـاتـها مـتـقـطـعـة ..

كـان الأـرـقط يـذـرـع الـبـهـو وـيـدـه كـأس .. وـبـدا مـخـمـورـا بـعـض الشـيـء ..  
 وـكـان «الـأـبـرـص» مـنـسـجـباً إـلـى نـفـسـه، وـالـرـجـل الـذـي قـاد القـبـائـل  
 عـلـى شـاطـئـي الفـرات يـدـاعـب لـحـيـته الشـعـثـاء، وـهـو يـحـملـق فـي الفـرـاغ ...  
 يـنـظـر إـلـى أـحـلـامـه تـبـدـد .. تـبـخـر .. وـصـبـاـيـا الـرـي وـجـرـجـان تـفـرـ مـذـعـورـة  
 بـيـن يـدـيـه ..

مـنـذ «عاـشـورـاء» وـالـأـرـقط تعـصـف بـه الـهـواـجـس .. يـنـتـابـه الـقـلـق ..

يَهُبْ مِنْ نُوْمِهِ مُذْعُوراً، تَطَارِدُهُ الْأَشْبَاحُ.. أَشْبَاحٌ لَا يَعْرُفُهَا.. يَتَقدّمُهَا  
رَأْسُ الْحَسِينِ عَلَى رَعْ طَوِيلٍ. امَا هُوَ فَكَانَ يَلْهُثُ مُبَهُوراً بِالْأَنْفَاسِ  
تَائِهًا في صحراء مترامية ملائكة بالأفاعي؛ قَتَمْ بِحَقْدِ:

- ماذا لقيت من الحسين؟!

دون شعور سقطت الكأس من يده  
رفع الأبرص عينه. كان ينظر بحقد. واستيقظ الرجل الذي كان  
يحلُم بالري وجرجان.

شعر الأبرص بحرقة في نحره. منذ أيام وهي تلسعه بنار.  
ركض إلى بركة الماء. بلّ نحره، ولكن بلافائدة.  
هتف الأرقط ساخراً:

- ما تزال تحرقك... أعني قطرات الدم.  
صوّب الأبرص عينين متراجحتين:

- لماذا تسخر مني؟ إنها قطرات من نار لا من دماء... صدقني إنّي  
أخلط حمرتي بدماء قتلاي. ولكن هذا الدم كان مختلف. إنه اللهيـ

بعينه

قهقهة الرجل الحالـ:

- ولكنك جسمت على صدره كغراب أبعـ.  
ردّ الأبرص منتـشـياً:

-انت لا تدرك اللذة التي شعرت بها وأنا أعلو صدر الحسين. كان  
ربوة من ربيع تفوح منه روائح أطيب من المسك. يابن سعد! لقد  
ارتقيت قمة المجد.

الأبرص ما يزال منتشياً، أسكرته لحظة الانقضاض.  
الرجل الحالم قطع قهقهته فجأة. زاد اتساع عينيه كأنما ما يزال  
يراقب مشهدًا مثيراً على شاطئ الفرات.  
الحسين ما يزال يقاتل الألوف غير عابئ بالسهام والرماح،  
وسيوف القبائل تحاول أن تخطفه. اندفع نحو الفرات كزروعة غاضبة.  
وبدا الفرات تحت حوافر جواده كأفعى ذليلة لشدّما هرّه منظر  
الحسين. أيّ رجل هذا؟!  
غطّى وجهه بكفيه. أراد أن يطفئ اشعاعات مشاهد مضيئةٍ كبروق  
سماوية.  
ما تزال الخيول المجنونة تركض بعنف، فيتردد صداها في أعماقه  
هزّات عنيفة مدمرة تعصف بأحلامه فتبعد.  
كان الأرقط يراقب صاحبيه من طرف خفي. أدرك ما يعتمل فيهم.  
لوّح بسوطه في الهواء، وصرخ:  
ـ انني أنفذ أمر الخليفة.



الليل يغمر الأرض بظلمة حalkة. وبدت الصحراء المترامية إمراة  
متّشحة بالسوداد حزناً على أبنائها. النخيل الذي يحفل بشطآن الفرات  
 بدا كرماح مركوزة في الرمال .

خُيَّل اليه أنه يسمع صهيلأً ينبعث من أعماق المياه المتدافعه ..  
اقرب أكثر فاكثر.. فكاد يسقط دهشة... مواكب من شموع تتألق  
وأصوات تشبه البكاء.

كان الرجل الأسد يحدّ النظر.. يريد أن يتعرّف أحدّهم، لكن  
بصره ارتدّ حسيراً.. تقهقر إلى الوراء.. سيطرت عليه رهبة المكان.  
خُيَّل اليه أنه يرى جواداً ينبعث من نهر الفرات. كان الجواد يشبه  
غيمةً بيضاء تنساب فوق الرمال الناعمة. ورأى رجلاً يستيقظ.. راح

الجواد يرّغ ناصيته يشمّه ويحمله بحزن.

نهض الرجل النائم.. مسح على رقبة جواده، ثم راح يوقظ النائمين واحداً بعد الآخر.

استيقظوا جميعاً. كانوا سبعين أو يزيدون.

وهتف الرجل الذي أيقظهم:

- أنا الحسين بن علي آليت ألا أنشني

انتبه الرجل الأسدية.. فرك عينيه. كان الفجر قد لاح من وراء النخيل.. فجُر يشبه الرماد.

وشيئاً فشيئاً تبدّلت الظلمة، ولاحت له أجساد القتلى مقطعة الرؤوس.. متاثرة هنا وهناك، كنجوم منطفئة.

حلّ اليوم الثالث عشر من محّرم. شمسه كثيبة حزينة. ترسل أنواراً باهتة. تلفح أجساداً مقطعة الرؤوس، وكانت الريح تundo كذبة مجنونة تثير غباراً كدخان الحرائق.

وجاءت نسوة أسديةات، ورجال كانوا يبكون بحرقة. وتعالت في الفضاء تأوهات هايل، وهو يشكو ظلم أخيه.

وقف ينو أسد حيارى لا يدررون ما يصنعون.

حاول بعضهم أن يتعرّف القتلى ولكن لا جدوى. حتى «ابن مظاهر» ضاع عليهم.

كانت الأجساد مضرّجة ممزقتها حوافر خيل قاسية.

وجاء فتى يسعى.. عليه سيماء النبوّات. ووقف بنو اسد مدحشين،  
وهو يشير الى الأجسام المجهولة.

- هذا جسد أبي

وتمّ وهو يواريه الثرى:

- طوبى لأرض تضمنّت جسدك الظاهر... الدنيا بعده مظلمة  
والآخرة بنورك مشرقة، اما الليل فسهد وأماماً الحزن فسرمد.  
ومشي الفتى الى جسدي آخر كان مقطوع الرأس واليدين.

قاعنته وراح يبكي:

- على الدنيا بعده العفا يا قمر بني هاشم... سلام عليك من شهيد  
محتبب ورحمة الله.

ومرّ النهار، ونكت الفتى يديه من التراب، ونظر الى الفرات. كان  
يشعر بظماء شديد...

اغترف من الماء، وهمّ أن يشرب، ولكنه رمّاه بعنف كما لو كان سماً.  
تذكّر كل تفاصيل ملحمة الظما، وهي تجري على شواطئ نهر يموج  
بالمياه.

نهض الفتى وألق نظرة احتقار على الفرات، وطفرت من عينيه  
الدموع وهو يولي ظهره للشواطئ. وبد النهر كثيراً كخيط من الملح.  
وشيئاً فشيئاً كانت أصوات مناحة بني أسد تخبو في أذنيه، وهو يتخد  
طريقه نحو مدينة غدرت بأبيه.



بـدا الجامع الأعظم مكتـباً، كـناسـك حـزـينـ. ورـغمـ الضـجـةـ  
 المـتصـاعـدـةـ، فـقدـ بـداـ مـقـفـراًـ، وضـاعتـ آيـاتـ الـقـرـآنـ بـيـنـ لـغـطـ الـكـوـفـيـنـ  
 الـذـينـ تـجمـهـرـواـ فـيـ الـظـهـيرـةـ الـمـحرـقةـ.

نـزـ الأـرـقطـ عـلـىـ المـنـبـرـ، وـرـاحـ يـنـظـرـ إـلـىـ النـاسـ باـسـتـعلـاءـ. الشـرـ  
 يـتطـاـيرـ مـنـ عـيـنـيهـ كـشـطاـيـاـ جـحـيمـ مـسـتـعـرـةـ. هـتـفـ بـغـطـرـةـ وـقـدـ فـقـدـ  
 السـيـطـرـةـ عـلـىـ لـسانـهـ:

ـ الـهـمـدـ.. الـهـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ أـظـهـرـ الـحـقـ وـأـهـلـهـ.. وـنـسـرـ اـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ  
 يـزـيدـ وـهـزـبـهـ، وـقـتـلـ الـكـذـابـ اـبـنـ الـكـذـابـ اـهـسـيـنـ بـنـ عـلـيـ وـشـيـعـتـهـ.  
 ضـحـكـ أـحـدـهـمـ بـمـرـارـةـ، وـهـوـ يـنـظـرـ إـلـىـ هـذـاـ الـأـلـكـنـ الـذـيـ نـزـ عـلـىـ  
 مـنـبـرـ عـلـيـ.

لقد مضت أيام البلاغة والفصاحة. مضت دون عودة، وورث المنبر  
قردةٌ وخنازير يسومون الناس سوء العذاب.

كان الصمت يخيم فوق الرؤوس التي أطربت ذلاً...

فجأة هبَّ رجل مكفوف البصر:

- يا بن مرجانه! الكذاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه.. أتقتلون  
أبناء النبيين وتتكلّمون بكلام الصدّيقين؟!

فوجئ الأرقط، فصرخ بغيظ:

- من المتكلّم؟

- أنا المتكلّم يا عدوَ الله! تقتلون الذريّة الظاهرة التي أذهب الله  
عنهم الرجس، وتزعم أنك على دين الإسلام... واغوثاه! أين أولاد  
المهاجرين والأنصار؟!

استشاط الأرقط، وهتف بجلاؤزه كأفعى حانقة:

- عليّ به .

هتف الرجل المكفوف البصر بشعار الأزد:

- يا مبرور!

وتواثب الرجال هنا وهناك، وانتزعوه من بين أنياب الكلاب.

وقال رجل أزدي بإشفاق:

- لقد أهلكت نفسك وعشيرتك

مضت الساعات ثقيلة، وباتت الكوفة تترقب حادثة ما، وبدا  
قصر الإماراة كوحشٍ راًبض في الظلام.  
كسرت حوافر الخيل هدأة الليل.. كانت تتدفع نحو منزل رجل  
مكفوف البصر.. بصير القلب.

واقتحمت الذئاب داره بعد أن حطمَت الباب، وكانت له صبيحة  
فصاحت:

- وأبتاباه!

- لا عليكِ ناوليني سيفي .

- ليتني كنت رجلاً أذبَّ بين يديك.

كان الرجل يقاتل في الظلام؛ وأحاطت به الذئاب فسقط اسيراً بين  
الأنياب.

وهتفت ابنته:

- واذلاّه! يحاط بأبي وليس له ناصر!

وفي القصر، فرك الأرقط يديه جذلاً، وقال بشماتة:

- الحمد لله الذي أخزاك.

- و بماذا أخزاني يابن مرجانه؟!

قال الأرقط بنفاق:

- ما تقول في عثمان؟

- ما أنت وعثمان، أساء أم أحسن، أصلاح أم أفسد؟ ولكن سلني  
عنك وعن أبيك وعن يزيد وأبيه.

- لأذيقنّك الموت.

فقال الأزدي بطمأنينة:

- لقد كنت أسأل ربي الشهادة من قبل أن تلده امك، وسألته أن  
 يجعلها على يدي عن خلقه وأبغضهم اليه.  
 جحظت عيناً الأرقط غيظاً:

وأشار إلى جلاوزته، وسرعان تدحرج رأس الشيخ؛ وكانت  
 ابتسامة تلوح على وجهه.

ودعا ابن زياد بأزدي آخر، كان في الطامورة، فجيء به، يخبط  
 على وهن.. أثقلته السنون والسلالس والقيود.

قال الأرقط بصفاقة، وقد اجتاحته رغبة في سفك الدم:

- ألسْت صاحب أبي تراب في صفين؟!

- نعم وإنني لأحبه، وأفتخر به، وأمقتك وأباك، سبها الآن وقد قتلت  
 سبط الرسول.

اجاب الأرقط باستهتار:

- إنك لأقل حياء من ذلك الأعمى  
 وهم الأرقط بقتله، فحدق به ثم غنم في نفسه:

- إن هي إلا أيام وينفق..  
وأردد وهو يصرّ على أنسانه:  
- لو لا أنك شيخ قد ذهب عقلك لقتلتك  
وتساقطت السلالسل من بين يديه. وعندما خطا باتجاه الحرّية  
كانت عيناه تفيضان من الدمع حزناً. وغبط في نفسه صاحبه الذي  
رُزق الشهادة بعد أمدٍ طويل.  
وعندما غادر الشيخُ القصر كان الأمل يكبر في قلبه الواهن بأن  
يلتحق بصاحبه ولو بعد حين.



كاد قصر الخضراء يهتزّ طرباً، فيزيد بدا ذلك اليوم بظير فرحاً،  
 كان يلاعب قرده باستمرار.. ينظر من نوافذ قصره المنيف إلى باب  
 الساعات، فأسراه سيدخلون دمشق بين لحظة وأخرى. لم يتمالك نفسه  
 فراح يتغنى بصوتٍ عالٍ:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع المخرج من وقع الأسل
لأهلو واستهلو فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشن
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدناه ببدر فاعتدل.
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خنده ان لم انتقم	منبني احمد ما كان فعل.
ولمعت عيناه وهو ينظر الى ثمالة كأس فكرعها . ودبّت النشوة في	

رأسه كطوابير النمل.

بدت دمشق في يوم الزينة كموسم تعرض بضاعتها على قارعة الطريق، ولغط الشاميين يرتفع كطنين الذباب، والذباب لا يفرق بين العسل والنفايات.

أطلّ «صفر» بوجهه الكئيب، وكانت القافلة قد توقفت في «باب الساعات»، ونعب غراب قبل أن يتحقق بخناحية السوادوين.

تم يزيد مشفياً وهو يطلع إلى ثارات بذر، واجتاحته رغبة عارمة بالغناء، فأطلق عقيرته:

لَا بدت تلك الحمول واشترت

تلك الرؤوس على شفا جironِ

نعب الغراب فقلتُ صِحْ أَوْ لَا تصْحُ

فلقد قضيتُ من النبي ديوبي.

كانت دمشق ترقص على دفوف أهلها، والأبواق تدوّي في الفضاء، وتذكر يزيد جدّه (هند)، وهي تصدح غداة «أحد»:

إِنْ تَقْبِلُوا نِعَانَقَ  
وَنَفْرَشُ الْمَارَقَ

أَوْ تَدْبِرُوا نِفَارَقَ  
فَرَاقَ غَيْرِ وَامِقَ

القافلة المقهورة تشقّ طريقها كسفينة تعصف بها ريح مجنونة..

يتقدّمها رأس آخر الأسباط على رمح طويل، فبدأ كعملاق من عملاقة

التاريخ. ودنا شيخ من فتى في العشرين من عمره.. كان ينوه بثقل سلاسل القهر. هتف الشيخ:

- الحمد لله الذي أهلكم، وأمكّن الأمير منكم.

نظر الفتى إليه، وخاطبه بإشراق:

- أقرأت القرآن يا شيخ؟

قال الشيخ مأخوذاً:

- بلى

- أقرأت: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي؟

- نعم قرأت ذلك. ماذا تعني؟

- نحن القربي يا شيخ... أقرأت: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الْجُنُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا»؟

- نعم قرأت ذلك.

- نحن أهل البيت يا شيخ.

- بالله عليك، أنت هم!

- نعم، وحق جدنا رسول الله إنا لنهن هم.

وقع الشيخ.. كأن الأرض تهتز تحت قدميه.. كان ينتحب ويولوّل:

- أبرا إلى الله من قتلكم..

وما أسرع أن احتوشه الجلاوزة، كحمل سقط بين مخالب قطيع من

الذئاب.

وتساءلت امرأة دمشقية:

- من أيّ السبايا أنتم؟

فقالت سكينة بحزن:

- نحن سبايا آل محمد

ومضت القافلة في طريقها إلى قصرٍ بُني على الظلم ماله من قرار.  
وفي باب القصر توقفت القافلة، وجيء بالحبال، فربق بها آل  
الرسول، وضعوا طرفه في رقبة فتىً في العشرين؛ أنهكته السلسل  
والقيود، ثم في رقبة زينب بنت علي! ثم باقي بنات محمد! وكلما تعثرَ  
الأسري في طريقهم انهالت عليهم السياط من كل جانب.

وتذكرت زينب عزّاً قدماً بددته أيام الزمن الخالي.. يوم كانت  
تخرج يحفّ بها فتية بني هاشم.وها هي الآن تُساق أسيرةً إلى أولاد  
الطلقاء. لشدّ ما يقسونا.. ولكن كل شيء في عين الله، ولقد أوتيت  
زينب صبراً دونه صبر أيوب.

وأدخلت الرؤوس، وكان رأسُ الحسين على رمح طويل.  
وفي تلك الليلة ضاعت آياتُ القرآن وسط دفوف مجنونة تحتفل  
بنصر الخليفة الجديد؛ الذي زين قرده الأثير قلادة جديدة من الذهب  
المرصّع بالياقوت الأحمر.

دمشق تغمرها ظلمة.. تلاشت زينتها، وبدت المدينة كراهبة  
مكتتبة، وعلى باب جিرون كان رأس الحسين مصلوباً، حيث صُلب  
رأس يحيى بن زكريا.

دمشق صامتة كأنّ على رأسها الطير. وفي باب الساعات كانت  
حية من نحاس تخرج رأسها المثلث في كل ساعة، فتسقط حصاة في  
إناء نحاسي، وكان غراب من نحاس يشير إلى الوقت دون اكتراش،  
وها هو الزمن يعود إلى الوراء.. يستعيد حوادث قدية.. قدية جداً.

كان صوتُ يحيى بن زكريا يدوّي في السجن:  
- آه من الخلية العاهرة.. أبنة بابل!

ليرجمها الناس بالحجارة، فتزول الآثار من الأرض، والآ

فستر تدي السماء ثوب الحداد، ويصير القمر بركةً من الدم، وستسقط النجوم على الأرض، وسيحل الرعب في قلوب الملوك.

كانت «سالومي» تصغي بحقد إلى كلمات يحيى تفجر الغيظ في صدرها.. وزادها الشيطان فتنـة.

همست في أذن هيرودس:

- سارقـص من أجلك.

وحنّ هيرودس:

- أعطـيك ما تـشـائـين. امنـحـك نـصـفـ مـملـكـتـيـ.

أغرقت الجواري «سالومي» بالعطور.

هـفتـ بـخـلاـعـةـ:

- بـقـدـمـيـنـ عـارـيـتـيـنـ سـارـقـصـ لـكـ.. بـقـدـمـيـنـ مـثـلـ حـمـامـتـيـنـ بـيـضـاوـيـنـ سـارـقـصـ لـكـ.

هـبـ هـيرـودـسـ مـنـ عـرـشـهـ:

- آـهـ... رـائـعـ.. عـظـيمـ! لـقـدـ رـقـصـتـ مـنـ أـجـليـ. اـقـرـبـيـ يـاـ سـالـومـيـ سـأـعـطـيـكـ كـلـّـ مـاـ تـشـتـهـيـنـ.. أـقـسـمـ بـآـهـتـيـ.

خرـتـ «ابـنـةـ بـابـلـ» عـنـدـ قـدـمـيـهـ:

- أـرـيدـ أـنـ تـقـدـمـ لـيـ فـيـ طـبـقـ مـنـ الفـضـةـ... رـأـسـ يـحـيـيـ.

- لاـ.. لاـ يـاـ سـالـومـيـ

- ولكنك أقسمت بأهلك!

- لن أفعل! اطلبني مني شيئاً آخر. أعطيك نصف مملكتي.

- أريد رأس يحيى

لعت الخمرة برأسه، وانتزعت اصبع (ابنة بابل) خاتم الموت من يده، وسقط رأس يحيى ابن زكريا عند قدمي «سالومي» في طبق من الفضة كان رأس يحيى يتلألق في الظلام.

وقالت «سالومي» منتشرة:

- ان عينيك اللتين كانتا مخيفتين قد أغلقتا الآن، ولسانك لا يتحرك، لن يقول شيئاً هذا اللسان... أنا سالومي ابنة بابل.. الأميرة اليهودية.. ما زلت أحياناً.. أما انت فقد مُت.. لقد أصبح رأسك ملكاً لي أفعل به ما اشاء. سوف أرميه لنسور السماء.

ارتجف هيرودس لهذه الراقصة تتشفى من يحيى.. صرخ بهلع:

- هذه المرأة تعج بالشروع...

وخطب جنوده:

- اطقو المشاعل.

كان يريد الهروب... وفيما هو يغادر قاعة المحفل، حانت منه التفاتة. كانت سالومي ما تزال تخطاب رأس النبي. كانت تحمل طبق الفضة، وتدور به - بجنونة - أروقة القصر.

صاحب هيرودس الجنود:

- أقتلوا هذه المرأة.

وتدافع الجنود لسحق إمرأة داعرة، فسقطت ممزقة، وعلى وجهها آثار رعب وخوف، وكان وجه يحيى يسطع نوراً.  
وبدا قصر هيرودس مخيفاً.. نوافذه مشرعة تعصف بها الريح من كل مكان.

رأس الحسين ما يزال مصلوباً على باب جيرون، الرهبان ينظرون إليه من بعيد، فيرون ملائج يحيى بن زكريا، فتفيض أعينهم من الدمع حزناً.

رأس الحسين في طبق من ذهب بين يدي يزيد... وكان ابن معاوية ينكت ثغر السبط بقضيب في يده.

التفت إلى ابن بشير، وكان يوماً ما أميراً على الكوفة:

- الحمد لله الذي قتله

قال الأنصاري بحزن:

- قد كان أبوك يكره قتله.

- قد كان ذلك قبل أن يشهر سيفه، ولو شهر سيفه على أبي لقتله.

- وقال رجل رأى النبي وسمع حدديثه:

- أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وتثنايا أخيه الحسن، ويقول: أنتا سيدا شباب أهل الجنة. قتل الله قاتلكما.

استشاط سليل آكلة الاكباد. وما اسرع أن تناوشه الجلاوزة،  
وسحل إلى خارج القصر.

وكان رسول القيصر يتأمل رأس الحسين، وفي أعماقه توج  
تساؤلات:

- إنّ عندنا في بعض الجزر حافر حمار عيسى، ونحن نحجّ إليه في كل  
عام ونهدي إليه النذور، وانتم تقتلون ابن نبيّكم؟!

نهض النصراوي، وتقى بخشوع ليقبل رأس الحسين.

تخيل نفسه يعانق يحيى بن زكريا، أو المسيح بن مریم.

استشاط ابن معاوية غضباً، فتدرج رأس النصراوي إلى جانب  
رأس الحسين، وسمع من له أذن واعية رأس السبط يتمتم:

- لا حول ولا قوّة إلا بالله

والتفت يزيد إلى فتى الحسين:

-رأيت صنع الله بأبيك؟!

قال الفتى

-رأيت قضاء الله

تم يزيد بنفاق:

- ما أصابكم من مصيبة فيها كسبت أيديكم.

قال سليل الأنبياء:

- «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسٌرٌ. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»

وبدا الفتى - وهو في الأغلال - كأسد أو ثقة الصيادون، فخاطب  
يزيداً:

- ما ظنك برسول الله لو يراني على هذه الحال؟!  
ونهض خطيب السلاطين، وأمعن في مدح معاوية ويزيد وسبّ  
عليّ والحسين، فصاح به الفتى:

- لقد اشتريت مرض المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من  
النار.

وكان رجل شامي ما برح يتطلع إلى بنات محمد، فنظر إلى فاطمة  
بنت الحسين وتنى أن يهبها له الخليفة جاريةً تخدمه.

تعلقت الفتاة بعمتها زينب كغريق يتشبث بعمود من أعمدة سفينة  
محطمة تتقاذفها أمواج الطوفان.

قالت زينب بثبات:

- لا تخافي. لن يكون ذلك أبداً.

ردّ يزيد متغطرساً:

- لو شئت لفعلت.

- فقالت ابنة علي:

- الاَّن تخرج عن ديننا.

- إنما خرج عن الدين أبوك وأخوك.

- بدين الله ودين جدي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك، ان كنت مسلماً.

- كذبت يا عدوَةَ الله.

- أنت أمير مسلط تشم ظالماً وتقهر سلطانك.

عاود الشامي الأحمق:

- هبها لي يا أمير المؤمنين.

ودّ يزيد لو يسحق هذا الأحمق، فنهره بشدةً:

- وهب الله لك حتفاً قاضياً.

أطبق الصمت على المكان، وكان التاريخ يتساءل عن المنتصر في كربلاء؛ يزيد أم الحسين. فنهضت امرأة رافقت الحسين على قدر تقول كلمتها معبرة خالدة:

- صدق الله سبحانه حيث يقول: «ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوَى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون».. أظنتني يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسرى أنَّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة... فهلاً مهلاً

أنسيت قول الله تعالى: «ولا تحسّنَ الذين كفروا إِنَّمَا نُحْلِي لَهُمْ خِيرًا لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُحْلِي لَهُمْ لِيَزدَادُوا إِنَّمَا وَهُمْ عذَابٌ مهين... فَوَاللهِ مَا فَرِيتَ إِلَّا جَلْدَكُ، وَلَا حَزْزَتِ إِلَّا لَحْمَكُ. وَلَتَرِدَنَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَحْمِلُّتَ مِنْ سَفَكِ دَمَاءِ ذَرَّيْتَهُ، وَانْتَهَكْتَ حِرْمَتَهُ فِي عَرْتَه... وَحُسْبَكَ بِاللهِ حَاكِمًا، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيمًا، وَبِجَبْرِيلَ ظَهِيرًا، وَسَيَعْلَمُ مِنْ سُوَّلَ لَكَ وَمَكَنَّكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ. بَئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدْلًا. وَأَيُّكُمْ شَرُّ مَكَانًاً وَأَضَعُفَ جَنَدًاً.

ولئن جرّت على الدواهي يا يزيد مخاطبتك، اني لا استصغر قدرك.  
فكد كيدك، واسع سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تحيي وحيانا، ولا  
يرحض عنك عارها. وهل رأيك الا فند، وأيامك الا عدد، وجمعك  
الا بدد، يوم ينادي المنادي: الا لعنة الله على الظالمين.

تضاءل يزيد حتى أصح كذبابة أو يكاد؛ وربما لأول مرّة أيقن أن  
الحسين لم يُقتل بعد وأنه ما يزال يقاتل في كربلاء، وها هو الآن على  
أبواب دمشق. فلعن في نفسه ذلك الأرقط الاحمق؛ إنه لم يقتلهم جميعاً،  
ها هي زينب تحمل قلب الحسين وفضاحة علي وھيبة محمد. وها هي  
الشام تتساءل عن رجل اسمه الحسين وعن امرأة اسمها زينب.



غادرت القافلة ربع الشام في طريقها الى كربلاء، وعرف الدليل الطريق، وراحت القافلة تسبق أمواج الفرات.  
 وتساءل الأطفال عن جنودِ رماح كانوا يحرسون النهر.. يحرمون القلوب الظائمة والأكباد الحرّى من قطرة ماء..  
 وكانت الطيور والغزلان تمرح في الشواطئ.. ترتاد النهر بحرّية.  
 - لو تدري أيها النهر! عن قلوب ذوات عطشاً على شطآنك !!  
 كان الحسين يذوب ظماءً.. قلبه يتفترّ، وأنت تجري.. تنسال مياهك على الشواطئ.. تهبا الحياة، وتمنح الأرض السمراء عشبك الأخضر... وفي عاشوراء تركتَ قلوباً صغيرة تتلوّى عطشاً، وكان «الرضيع» يدّ يداً صغيرة؛ يطلب قطرة ماء.. ما تزال يده ممدودة

تستفهم التاريخ والانسان.

لاحت ارض كربلاء من بعيد... الارض التي شهدت قبل اربعين  
يوماً مصراًع الحسين.

سهام مغروسة في الرمال.. سيف مهشمة وبقايا رماد..  
قفزت الحوادث الرهيبة الى الذاكرة. تجسدت أمام العيون. وترددّ  
صداها في القلوب.

هرولت «الرباب» الى كومة رمل صغيرة.. تضمّ رضيعها الشهيد!  
احتضنت الرمل.. راحت تحشوه فوق رأسها:  
- هلمَ اليّ يا صغيري..

وتساقطت قطرات من لبن سائغ فوق الثرى، فامتزجت مع  
الدموع.

كان الرضيع غافياً في أحضان الأرض التي لونها بدمه الرائق؛  
وعندما هوّمت عيناه، رأت نافورة ماء تنبخ من نحر الرضيع  
الشهيد. وكان الاطفال يدورون بين القبور كحائم بريّة تبحث عن  
أعشاشها.

ووقفت زينب تتأمل الصمت المهيمن.. وهي تستعيد حوادث يومٍ  
طويل.. يوم حطم الحسين شبح الموت... يرسم بدمائه الطريق..  
الطريق الى جنات تجري من تحتها الأنهار.. وشواطئ الفرات تخزن

الملح... أمواجه سراب، وظلال الخيل رماد، والنهر حية يقهرها الظماء.  
والحسين يهوي بسيفه على صخور الزمن، فتبجس منها ينابيع  
الخلود... والحسين يقهر الموت، ينتزع من بين طواياه الحياة.  
من بعيدٍ لاح «جاير».. رجل نصر النبي، وجاء اليوم يزور سبطه.  
وكان مع الانصاري عصبة منبني هاشم.. شم جابر رائحة النبي  
 فهو يقبل قبر الحسين:

- يا حسين.. يا حسين.. يا حسين.. حبيب لا يحب حبيبه، وأنى  
لك بالجواب وقد فرق بين رأسك وبدنك... أشهد أنك مضيت على ما  
مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

وأجال جابر بصره الواهن بين القبور:

- السلام عليكم أيتها الارواح التي حلّت بفناء الحسين وأناخت  
برحله.. أشهد انكم أقتم الصلاة، وآتيم الزكاة، وأمرتم بالمعروف  
ونهيت عن المنكر، وجاهدتكم الملحدين. والذى بعث محمداً صلى الله  
عليه وآلـه وسلم بالحق نبياً، لقد شاركتـناكم فيما دخلتم فيه.

فقال رجل كان معه، وقد اتسعت عيناه دهشة:

- كيف ولم نهبط واديأً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف؟!

وتداعـت في أعماق جابر كلمات قاها محمد من قبل:

- سمعت حبيبي رسول الله يقول: من أحب قوماً كان معهم، ومن

احبّ عمل قوم أشرك في عملهم... والذى بعث محمداً بالحق نبياً إن  
نيتي ونية اصحابي على ما مضى عليه الحسين واصحابه.  
كانت الشمس على وشك أن تغيب وقد بدت حمراء.. حمراء كعين  
تسخّ دموعاً ثقالاً.

نهض جابر وقد تعفر وجهه بتراب الحسين. تتم بحديث لحبيبه كان  
قد سمعه قبل أكثر من خمسين سنة، كان النبي يداعب صبياً في ربيعه  
الخامس ويقول: حسين مني وأنا من حسين...

هتف جابر وسط الصمت وكان الفرات يجري.. تتدافع أمواجه:  
ـ اشهد أني قد سمعت ذلك من حبيبي محمد.

غابت الشمس خلف الرمال الممتدة، ونشر المساء ستائره  
الرمادية فوق الأرض، وانبرى رجال يدقون أوتاد خيام صغيرة...  
فزيسب تريد البقاء إلى جنب أخيها الحسين.

مضى يومان والقافلة التي غادرت الشام وما تزال في كربلاء تسقي  
رماتها دموعاً ساخنة بعد أن ارتوت من دماء الحسين وسبعين من  
حواريه.

انطلق الاطفال الى الفرات، وقد بدا والنخيل تحف شاطئه حورّية  
نهضت لتوّها من النوم.

غمس الصغار ارجلهم في المياه، وكانت الامواج تغسل اقدامهم  
برفق... كأنّ النهر يعتذر اليهم عن يوم حرّهم فيه من قطرة ماء.  
تذكّروا أيام العطش. كانوا ينظرون جهة النهر... وكان النهر اسيراً  
تحرسه رماح وسهام. تذكّروا صرخاتهم.. بكاءهم وهم يصيرون:  
ـ العطش.. العطش

وعادت صورة عَمِّه «أبي الفضل» وقد اعتلى صهوة جواده..  
حمل القرابة واتجه صوب الفرات.. كانوا يترقبون عودته يحمل إليهم  
الماء.. ولكن عَمِّه ذهب ولم يعد... وظلّوا ينتظرون.

وبدت السماء في أعينهم صحراء ملتهبة، فلا مزنة تحمل إليهم  
الودق. وكانت نتف الغيم تعبر السماء كسفونٍ تائهة.

وقفت زينب تتأمل الفرات وقد بدا مرثية غارقة في الحزن..  
وكانت الشواطئ تبكي.. تسحّ دموعاً فوق الرمال، وحيف النخيل  
يردد صوت امرأة تتوح بصمت.

استند طفل إلى جذع نخلة سمراء بلون الصحراء.

كان يصغي إلى نشيج الفرات وبكاء النخيل.. ينظر إلى المياه  
المتالقة، فيشاهد نجوماً وقرآ منيراً. هوّمت عيناه فرأى حصاناً أبيض  
ينشق من النهر.. ينقل خطاه، والمياه تنسال منه.. ترسم درباً ندياً..  
ورأى الحصان يضرب الأرض.

عمه «أبو الفضل» يعتلي صهوة الحصان، وينطلق صوب الفرات  
والقرابة على كتفه.. كان الحصان يصهل، وعمه يبتسم، وقد عاد يحمل  
الماء... راح يعبّ منه دون ارتواء.. وعندما فتح الطفل عينيه، وجد  
زينب أمامه، وفي يديها قربة تموّج بعياه الفرات.

هوت الشمس باتجاه المغيب.. جمرة متقدة.. جرح راعف...

لحظات، وحلّ الظلام، فتصاعد الأنين.. أنين النهر.. النخيل.. الرمال..  
وذهب الطفل يتلمس طريقه بين نخيل الشاطئ. بدا القمر جميلاً في  
أحضان الماء. رأى وجه أبيه الشهيد منعكساً فيه كمراة صافية.. ودَّ في  
أعماقه لو يحمله النهر بعيداً إلى عالم جميل.. إلى مدينة ترقد في أحضان  
النهر؛ وهناك يلتقي أباه، ثم ينطلقان معاً إلى البحر الكبير.

استيقظ الطفل على صوت من وراء النخيل ينادي:

- أين أنت يا بقية أخي؟

ونهض الصغير مسرعاً نحو جهة الصوت. إنها عمته زينب.  
ارتدى في أحضانها وكان القمر يغمر الرمال بلونه الفضي المتألق.  
العيون الساحرة تراقب نجوم السماء والأطفال يناغون القمر..  
وتتألق في الرمال سبعون نجمة أو تزيد.. وانطوى الليل على جراحٍ  
رُوّت الأرض.

وخيّل للقلوب الكسيرة أن قلباً كبيراً ينبعض في أعماق الأرض  
فاهتزّت وربت، وكان صدى صهيلٍ يأتي من جهة الفرات.  
وفي قلب الظلام، كان الحسين على فرسه يتألق في وجهه نور  
النبوّات.. يحمل في يديه الورد والزيتون والماء، ويحمل القرآن.  
بدت كربلاء - تلك الليلة - مسرحاً كبيراً يستوعب الحياة... وظهر  
التاريخ يئنّ من عواء الذئاب.. يستتجد بجوار الحسين. وكان الجواب

يصل، فتفرّ الذئاب مذعورة.  
وينطلق التاريخ.. يعتلي صهوة الجواد.. يسابق الزمن. وكانت  
الذئاب تطارده لاهثة.

استيقظت يثرب كئيبة، وقد صبغت الشمس جدارنها بحمرة  
ملتهبة، وكان غراب ينبع فوق أحد المنازل.

ارتاعت فاطمة الصغرى، وهي تراقب الغراب، وقد كان يلطخ  
جداراً يحيط باحة البيت.

بدا البيت خاويأً على عروشه، فلا أحد يؤنس الفتاة الوحيدة مذ  
تخلّفت عن القافلة لعلةٍ أنهكتها.

تركوها وحيدةً، وانطلقوا إلى أرض السواد. وكانت تترقب بريداً  
يأتي من قبل أبيها، وهو نذير الشؤم يحطّ على المنزل.. يلاً الفناه  
بنعيقه، ويصبح الجدار بدم هايل.

وتمرّ الأيام كالمحنة سوداء، كأسراب غربان مهاجرة.

وذات صباح حزين، سمعت الصبية صوتاً ينعي والدها العظيم.  
كان الصوت يتردد بين منازل المدينة المنكوبة:  
يا أهل يثرب لا مقام لكم بها      قُتل الحسين فأدمعي مدرار  
الجسم منه بكرباء مضرج      والرأس من فوق القناة يدار  
هبت يثرب عن بكرة ابها. اليوم مات رسول الله .  
واتجهت الجموع المدهوسة الى الصحراء للقاء قافلة عصفت بها  
الأيام.

وخرج فتى في العشرين من خيمته وهو يكفف دموعه ويشهق  
في عبرته. ودارت عيناه في رجال صحبو النبي. كان ينعي اليهم سبط  
صاحبهم العظيم.

ودخل الفتى بعياله مدينة جده... وبكت زينب عندما لاحت لها  
البيوت من بعيد، فأجهشت بالبكاء. ولأول مرّة بان الانكسار على  
وجهها، وهي تردد:

مدينة جدنا لا تقبلينا      فالمحسرات والاحزان جينا  
خرجنا منك بالأهلين جماعاً      فعدنا لا رجال ولا بنينا  
وعندما وصل الركب الى المسجد، أخذت اخت الحسين بعضافتي  
باب المسجد، وهتفت:

- يا جدّاه إني ناعية اليك أخي الحسين.

وصاحت سكينة بلوعة:

- يا جدّاه اليك المشتكى بما جرى علينا، فو الله ما رأيت أقسى  
من يزيد، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شرّاً منه، ولا اجحف وأغلظ،  
فلقد كان يقع ثغر أبي بمحضرته ويقول: كيف رأيت الضرب  
يا حسين؟!

وناحت الباب بنت امرئ القيس بقلب كسير:  
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به

وكنت تصحبنا بالرحم والدين  
من لليتامى ومن للسائلين ومن  
يغنى ويلأوي إليه كل مسجين

والله لا ابتغي صهراً بصرهم  
حتى أغrieve بين الرمل والطين  
ودخل رجل من أولاد طلحة على بقية آل محمد وسأل شامتاً:

- من الغالب؟

فأجاب الفتى وهو يزبح عن العيون حجب الزمان:  
إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب.  
اهتز الأشدق شهادة وهو يصغي تشفيًا إلى مناحة بنى هاشم، وتم:  
- واعية بواعية عثمان!

والتفت الى قبر النبي وأردف:

ـ يا محمد يوم بیوم بدر.

واتجه الاشدق الى المنبر، وراحت كلماته تخرج شظايا يتهدد أهل  
المدينة بالويل والثبور، ثم اصدر أمره الى قائد شرطته بهدم دوربني  
هاشم، فهرول الشرطة يحملون آلات الدمار، فأمعنوا في خرابها حتى  
غادروها أطلالاً أو خرائب خلفها الزمن الراحل.

ولاذت بنات محمد بالقبر الشريف، وهي تستصرخ الضمير النائم:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم

ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم

بعتري وبأهلني بعد مفتقدني

منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

كان الحزن يطوف بيوت يثرب، كغيوم رمادية مثقلة بدموع السماء،

وكانت عجائز المدينة يحدّثن حفيداتها عن احزان قدية لأمّ الحسين

يوم ودّع أبوها الدنيا الى الرفيق الأعلى.

وتهامسن عن حزن جديد.. حزن زينب.

ـ ان القدر لن يهلهها كما لم يهله أمها من قبل.

-سرعان ما رحلت الزهاء... التحقت بأبيها..

-لن تعيش زينب أكثر من عام.

إنها تذوي لحظة بعد أخرى، كشمعة تذوب في قلب الظلام.



نهض الاشدق من سريره المذهب؛ كان الليل قد ذهب ثلاثة، وهو  
 ما يزال يتقلب في فراشه يصغي الى صدى مناحة تأتي من بعيد.  
 ما يزال بنو هاشم ينوحون على الحسين، وما تزال المدينة تجتر  
 آلامها بصمت... كان الاشدق فيما مضى يطرب لبكائهم، وينتشي  
 لمناجتهم، أما الآن فبدأت تورقه.. تقض مضجعه.. تسلب من عينيه  
 حلاوة النوم. إنه يرى تململ المدينة.. يصغي الى أصوات تلعن وتلعن  
 بني امية اجمعين، وكان الحسين على الشفاه.  
 ضغط الاشدق على أسنانه حاتقاً، وراح يحدق - من خلال نافذة  
 في القصر - في الظلام الدامس. تراءت له اشباح في الظلام.. اشباح  
 مخيفة ليس لها شكل.. تحمل في ايديها سيفاً وخناجر..

ارتدى الاشدق مذعوراً، وشعر بفمه يزداد اعوجاجاً، حتى لقد  
صعب عليه أن يصرخ بمحاجبه.  
وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى كَأسٍ فِيهَا ثَالَةٌ، فَافْرَغَهَا فِي جَوْفِهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً.  
مِنْذَ مَدَّةٍ وَهُوَ لَا يَفَارِقُ هَذِهِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي تَحْرُقُ جَوْفَهُ وَتَغْرِقُهُ فِي  
بَحْرِ الْخَيَالِ.

ولكن ماذا يفعل هذه المرأة؟!... زينب تسليبه حلاوة العيش..  
تقضّ مضجعه.. المدينة تستيقظ على مناحتها.. وهو يخاف لحظة  
الانتقام. لعن في أعماقه يزيد وابن زياد. كان عليهما أن يقتلا زينب...  
الحسين لا يموت الاّ يقتل هذه المرأة. إنها ابنة علي.. علي الذي ما يزال  
الناس يرددون كلماته؛ ومحمد يهتف به الناس كل يوم خمس مرات.  
شعر بـ دوارٍ في رأسه، ورغبة في القيء. لقد اكثرا من الشراب هذه  
الليلة.

استيقظ الفجر على صياح الديكة. ونعب غراب، قبل أن يغادر  
وكره. وناحت حمامه بصوت حزين.

صرخ الاشدق بكاتبه بصوت يشبه فحيح الأفاعي:  
ـ اكتب الى الخليفة:

ـ اذا كانت لك بالحجاز حاجة فاقتل زينب».  
ـ وانطلق ذئب أغرب يحمل رسالة الموت. الاشدق ما يزال متعطشاً

للماء.. لم ترود دماء كربلاء، فراح ينشد المزيد.  
ما تزال هند تلوّك كبد حمزة، وتشتهي كبد علي..  
كلمات الحسين تدور في بيوت «الأنصار» من سكان المدينة  
مزوجة بدموع زينب.. تتحول إلى روح تنشد الحرية..  
والذين صحبوا النبي يتذكرون عهوداً قدية تحت الشجرة وفي  
العقبة كانوا قد نسوها، وهما يستيقظون ليجدوا راية «العقاب» في  
أيدي الذين حاربوها عشر سنين.

الخلافة تتحول إلى ملك، وال الخليفة يصير هرقل.. والمنبر ينقلب إلى  
عرش... ويكون معاوية أمين الوحي، ويُشتم أبو تراب ليل نهار،  
ويعود طريد الرسول إلى المدينة، وتُشقّ زينب من كل المحاجز.  
استوت «العقيلة» فوق ناقتها، وألقت نظرة حزينة على ربوع  
مدينة جدها، متوجهة صوب مصر.

قالت امرأة هاشمية، وهي تودّعها:

- لقد صدق الله وعده: «وأرثنا الأرض نتبأ من الجنة حيث  
نشاء» فطبيقي نفساً، وقرّي عيناً، وسيجزي الله الظالمين.  
وانطلقت سفينـة الصحراء تقطع الفيافي.. تحمل امرأة اسمها زينب،  
امرأة لن يهلـها القدر سوى سنة واحدة، فقد فاضت روحـها في أول

ذكرى لعاشراء.

في الفسطاط قلب مصر، مكثت زينب عاماً واحداً. وعندما  
أغمضت عينيها الدامعتين، تفَتحت ملايين العيون، وملايين القلوب  
على نداء الحرية. فما يزال الحسين يقاتل.. يهتف في سمع الزمن:  
- إني لا أرى الموت الا سعادة .... والحياة مع الظالمين الا برما.

وما يزال التاريخ يردد كلمات قالتها زينب في كربلاء:  
- لقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم  
المعروفون في أهل السماوات. انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة  
والجسوم المضرجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطف على لا يدرس  
أثره، ولا يمحى رسه على كرور الليالي والأيام.

عاد أبوسفيان يقود القبائل وهو يهتف: أعل هُبل؛ والاحزاب يعبرون خندق النبي بعد أن زدموه في كربلاء، ونادي منادٍ.

- يا أهل يثرب لا مقام لكم  
المدينة تحصد بذار «السقيفة».

وفي مكة، كانت المجانق تتصف الكعبة من فوق رؤوس الجبال  
فاحتراق جانب منها.. الشيطان يصب حمه فوق بيت الله .. وجند  
الشام يرمون الكعبة بكتل النار الملتهبة، ثم يتوجهون إليها وقت الصلاة.  
ويزيد في رحلة صيد أسلكه نشوة الانتصار، والأرقط ما يزال  
جاثماً على صدر الكوفة يسومها سوء العذاب.. يذبح أبناءها  
ويستحيي نساءها.

الضمير الذي خذله «معاوية» يستيقظ في قلب الليل، يتململ..  
يبحث عن جحيم يظهر فيه.. يتخفف من إثم رهيب حول الحياة إلى  
ذلك لا يطاق.

لقد ولد الحسين من جديد.. وها هي بنت محمد تقدم ولدها إلى  
الدنيا شعلةً متوجدةً يحملها الأحرار في كل زمان ومكان.  
الافاعي ما تزال تتلوى في قصر الأمارة.. تلدغ كل من يصادفها  
وقد فر الأرقط إلى الشام بعد أن هلك سيده، وظهر في الكوفة رجل  
يصرخ: يالشارات الحسين.. رجل ذرف على الستين؛ يدعى «المختار»  
قال ابن سعد محدثاً:

- أيها الامير ان المختار اشدّ خطراً من سليمان، فابن صرد قد خرج

من الكوفة يروم قتال أهل الشام.

وقال الابرص:

- اجل ايها الامير ارى أن تودعه السجن.. أو تقتله.. نتغدى به  
قبل أن يتعشى بنا.

لا احد يدري كيف استيقظت الكوفة.. نقضت عن نفسها العار  
وهبّت بشعاعٍ كانت قد نامت عنه خمس سنين؛ يوم كان مسلم بن  
عقيل سفير الحسين ينادي في دروب الكوفة وحيداً: يا منصور أمت  
هبت الكوفة تصرخ مجنونة: يالثارات الحسين.

وسقط قصر الامارة في أيدي الثائرين؛ فيما فرّ الملادون لا يلرون  
على شيء.

كان الابرص قد فرّ باتجاه الجنوب مشدوهاً يفكّ بكلمات قالها  
الحسين في كربلاء:

- والله لا تلبثون بعدها الا كريثما تركب الفرس حتى تدور بكم  
دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور.. عهد معهود عهده الي أبي عن  
جدي رسول الله.

وتجسدت صورة الحسين وهو يرفع يديه الى السماء كنبي يستمطر  
اللعنة على قوم كذبوه:

- اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسي يوسف

وسلط عليهم غلام ثقيف يسقفهم كأساً مصبرة.. والله لا يدع احداً منهم الا انتقم لي منه.. قتلة بقتلة، وضربة بضربة، وانه ليتصر لي ولأهل بيتي واشياعي.

تحققت نبوءة الحسين. صارت المهرة فرساً تُركب، تسابق الريح وظهر «المختار الثقي» في قبضته سيف الانتقام. فرّ الجلادون.. تحولوا الى فئران خائفة اختبأت في جحورها ترتجف، وكان سيف المختار يطاردها.. يحقق نبوءات الحسين. وفي ساعة غضب مقدس، تحولت جحور الفئران الى انقاض وركام.

قال المختار وهو يودع «ابن الاشت» قائده الشجاع

-بقي رأس الافعى.. بقي رأس الارقط :  
هزّ ابراهيم رايته بشدة.

تحرك سبعة آلاف مقاتل يحملون في صدورهم قبساً من روح الحسين، وصهيل فرس غاضبة تدوّي في الاعماق.

غادر ابن زياد الشام على رأس جيش تجاوز الثمانين الف مقاتل يحملون سيفاًً أموية تنذر الكوفة بالويل والثبور يقودها «الارقط» وقد بايع مروان على الطاعة... ومرwan طريد رسول الله اموي سامي منعه النبي أن يغادر الطائف. ولما أغمض النبي عينيه جاء مختبئاً تحت عباءة عثمان.

وتمرّ الاعوام تلو الاعوام، وإذا بالطريد يسرق منبر محمد في وضع النهار.

سقطت الموصل في قبضة الارقط... وعلى ضفاف نهر الخازر في ضواحي الموصل التقت فتنة قليلة فتنة كبيرةً وحدثت ملحمة رهيبة.. كان الاشتريقاتل بشجاعة ابيه.. يستعيد بطولاته على شاطئ الفرات

بصفين وليشهد «الخازر» أن الولد على سرّ أبيه.

طاحونة الموت تدور عند ضفاف الخازر، وسقط رأس الارقط  
وتمزقت جيوشه.

كان المختار جالساً في القصر عندما وضع بين يديه رأس الارقط..  
كان يشبه رأس الافعى يسيل من انيابه الصديد.. عيناه زائغتان  
تعكس آثار رعب ودناءة.

وتساقطت رؤوس الجنادين.. رأس الأبرص ورأس رجل كان  
يحلم بالري وجرجان، رأس سنان و «حرملة» ورؤوس عفنة كثيرة..  
سقطت كما تساقط الثمار الفاسدة عند هبوب الزوبعة وفي فجر يوم  
باسم، وقد تطهّرت الكوفة من رجس الشيطان. كان فارس قد  
غادرها توّاً يحمل معه رؤوس الأفاعي، ويكاد أن يسبق الريح،  
وجهته «يُثْرَب» المدينة المنكوبة.

دخل الرجل الكوفي منزل علي بن الحسين وهتف مبهور الانفاس:  
- يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي أنا رسول  
المختار إليكم ومعي رأس ابن مرجانة ورأس ابن سعد و....  
وعادت الفرحة إلى المدينة.. تجددت ذكريات بدر يوم تساقطت  
رؤوس الشرك في «القليب».

وفي تلك الليلة تذكرت نسوة بنى هاشم الحناء، وعاد المرود يدور

في العيون يمسح آثار حزن متجدد.. وشقّ المشط طريقه في ليل الشعر  
ليل حalk أو ربما اشتعل شيئاً. وهوئ فتى الحسين ساجداً لله الذي  
يمهل ولا يهمل:

- اللّهم وفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى.

عادت البسمة تطوف في بيوت بنـي هاشم.. تسـحـ الدـمـوعـ، وـقـنـعـ  
الأطفال الأملـ، والنـسـوـةـ كـحـلـاـ وـمـرـاـوـدـ.. وـمـنـ بـيـنـ كلـ العـيـونـ بـقـيـتـ  
عينـانـ حـزـينـتـانـ تـدـمـعـانـ ..

فلقد أغـمضـهاـ الـقـدـرـ بـعـصـرـ قـبـلـ أـنـ تـرـيـاـ تـسـاقـطـ رـؤـوسـ الجـلـادـينـ.  
غـيرـ انـ التـارـيـخـ مـاـ يـزـالـ يـرـدـ بـطـوـلـاتـ اـمـرـأـةـ اـسـمـهـ زـينـبـ.





يَهْبَ مِنْ نُومِه مُذعوراً، تَطَارِدُه الْأَشْبَاح.. أَشْبَاحٌ لَا يَعْرِفُهَا.. يَتَقدّمُهَا  
رَأْسُ الْحَسِينِ عَلَى رَمْعٍ طَوِيلٍ. امَّا هُوَ فَكَانَ يَلْهُثُ مُبَهُوراً بِالْأَنْفَاسِ  
تَائِهًآ فِي صَحْرَاء مُتَرَامِيَّة مُلَيَّة بِالْأَفَاعِي؛ تَقْدَمُ بِحَقْدِ:

-ماذا لقيت من الحسين؟!

## دون شعور سقطت الكأس من يده

رفع الأبرص عينه. كان ينظر بحقد. واستيقظ الرجل الذي كان يحلم بالري وجرجان.

شعر الأبرص بحرقة في نحره. منذ أيام وهي تلسّعه بنار.

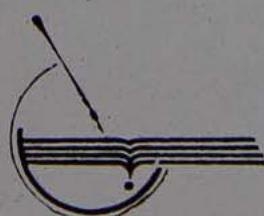
ركض الى بركة الماء. بلّ نحره، ولكن بلافائدة.

-ما تزال تحركك...أعني قطرات الدم.

## صوّب الأبرص عينين متارجحتين:

لماذا تسخر مني؟ إنها قطرات من نار لا من دماء... صدقني إبني  
أخلط خمرتى بدماء قتلاي. ولكن هذا الدم كان مختلف. إنه اللهيب

١٢



مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر

قم - شارع الشهداء - فرع رقم ٢٢

٧٤١٧٤٤ - تليفون : س. ب. ١٨٧

الجمهورية الإسلامية الإيرانية